(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لجبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة:٩٧-١٠٢]

الشيخ: أحسنْتَ، لا إله إلَّا الله.

كذلك هذه الآياتُ متَّصلةٌ بما قبلها من حيثُ أنَّ فيها إنكارًا وتوبيخًا لليهودِ وذكرًا لبعضِ مخازيهم {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ}، جاءَ أنَّ بعضَ اليهودِ قالَ للرَّسولِ: مَن الَّذي يأتيكَ من الملائكةِ، يأتيكَ بالوحي؟ قالَ: (جبريلُ)، قالوا: هذا عدوُّ اليهودِ، جبريلُ -عليه السَّلامُ- هو أفضلُ الملائكةِ هذا هوَ المعروفُ، ولهذا اصطفاهُ اللهُ للنزولِ بالوحي، جبريلُ ذكرَ جبريل في القرآنِ والسُّنَّة، إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادى جبريلُ.. إذا أبغضَ عبدًا نادى جبريلُ، وإذا تكلَّمَ الرَّبُّ وصعقَت الملائكةُ أوَّلُ من يرفعُ رأسَهُ جبريلُ.

{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ} جبريلُ نزَّلَ الكتابَ وجاءَ بالوحي على قلبِ محمَّد -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- كما قالَ تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ} [النحل:١٠٢]، {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ}، {الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

فمَن كانَ عَدُوًّا لجبْرِيلَ فقد عادى أفضلَ عبادِ اللهِ المقرَّبين، وبئسَ ذلك الخلقُ، والواجبُ على العبدِ أنْ يحبَّ من يحبُّهُ اللهُ، ويبغضَ..، فمَن عادى وليَّ اللهِ فهو عدوٌّ لله، ولهذا قالَ تعالى بعدَها: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ .. فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ} لهُ، فمن كانَ عدوًّا لجبريلَ فاللهُ عدوٌّ لهُ، {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى

قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} من الكتب، من التَّوراةِ والإنجيلِ وغيرِهما، هُدًى وَبُشْرَى {وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}.

{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} عطفَ جبريلُ على الملائكة، وهذا من عطفِ الخاصِّ على العامِّ، {وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}.

و لم يُسَمَّ من الملائكة إلَّا جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ في سورة الحديد، وجاءَ ذكرُ الثَّلاثة في حديث في الدُّعاء في قيامِ اللَّيلِ: (اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ)، {فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} فاللهُ توعَّدَ أعداءَهُ بالعذابِ الأليمِ {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ}، {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ} [فصلت:١٩]، فأعداءُ اللهِ هم الكافرونَ، فالكافرونَ المشركونَ المكذِّبون للرَّسلِ، هم أعداءُ اللهِ، والمؤمنونَ المتَّقون هم أولياءُ اللهِ، واللهُ وليٌّ، اللهُ وليُّ المتَّقين، وهو تعالى عدوٌّ الكافرين، اللهُ وليُّ المؤمنينَ وليُّ المتَّقينَ، وهو عدوٌّ الكافرين.

ويبيِّنُ سبحانَهُ أنَّهُ أنزلَ هذا الكتابَ مشتملًا على الآياتِ البيِّنات: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ}.

ثمَّ أشارَ إلى خَصلةٍ قبيحةٍ في اليهودِ وهي نقضُ العهودِ {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

ثمَّ تأتي الآياتُ الَّتي فيها أنَّهم آثرُوا السِّحرَ الَّذي هو من عملِ الشَّياطينِ آثرُوهُ على ما جاءَهم بهِ هذا الرَّسولُ {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ثمَّ قالَ: {وَاتَّبَعُوا} نبذُوا كتابَ اللهِ {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ} فاستبدلُوا بالإيمانِ والعلمِ النَّافعِ والعملِ الصَّالحِ استبدلُوا به السِّحرَ الباطلَ الَّذي هو من علمِ الشَّياطينِ وتتلوهُ الشَّياطينُ، إلى آخرِ الآياتِ، واللهُ أعلمُ، نعم، مَن معَنا؟